

# نظريات في علم الآثار



د. أزهرى مصطفى صادق

شعبة: (31214)

رقم المقرر : أثر 511  
الجزء الثاني

[Tune the phone number]

## الموضوع الخامس: التيار الحديث في علم الآثار 1960-1980

### 1. مقدمة عامة

لقد كانت الستينيات من القرن العشرين لحظة تحول في تطور علم الآثار ، حيث بدأ يظهر في هذه الفترة عدم الرضا والافتقار بطريقة البحث في مواضيع الآثار المختلفة ، ليس فقط في مجال التنقيب او العلوم المساعدة للآثار ولكن أيضاً في الطريقة التي يصلون بها للنتائج. وبدأ التفكير في دور التاريخ وطريقة التفسير (Explanation) أي شرح المعثورات والتي تعزى إما لهجرة مجموعة أو تأثيرات خارجية ، وهنا ولد ما عُرف في ذلك الوقت بعلم الآثار الجديد (New Archaeology) وقد كانت البداية في أمريكا حيث قام عدد من الآثاريون الجدد بقيادة لويس بنفورد بمحاولة إيجاد وسيلة جديدة لحل مشكلة التفسير الآثاري والتي واجهت الكثير من النقد كما وجدت العديد من المؤيدين.

لقد جادل بنفورد وزملائه ضد طريقة استخدام المعلومات الآثرية لكتابة نوع من التاريخ اعتبروه مزيفاً أو لا يمثل حقيقة الوضع كما كان في الماضي. وأوضحوا أن إمكانيات الدلائل الأثرية أكبر مما أدرك من قبل في مجال فحص الملامح الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات القديمة ، وهي نظرة متفائلة أكثر ممن سبقوهم. وقد شددوا على أن التعليل الآثاري يجب أن يكون واضح وقاطع وبات وأن لا تؤسس النتائج على الآراء الفردية أو الشخصية للباحث ولكن على إطار واضح من الجدل المنطقي. وهنا اعتمدوا على الأفكار الجارية داخل فلسفة العلوم والتي تدعو لفحص النتائج للتأكد من صحتها بالاختبار.

وبظهور علم الآثار الجديد المعروف أيضاً بـ (Processual archaeology) الذي بدأه ويلي فيلبس ، بدؤوا بالبحث عن الشرح أكثر من مجرد الوصف ، وللوصول لهذه النتيجة كما في العلوم بدؤوا بمحاولة إيجاد تعميمات صحيحة. وهنا حاول العلماء تجنب الأحاديث الغامضة عن التأثيرات التي تحدث من ثقافة لأخرى ، وبدلاً من هذا بدؤوا محاولة تحليل الثقافة كنظام مكون من عدة أنظمة فرعية والذي أدى لدراسة الاقتصاد المعيشي لوحده ، والتقنية ، والنظم الاجتماعية ، والعقائدية ، والتجارة والسكان.... الخ ، مع تقليل التركيز على أصناف الأدوات وتقسيماتها. وبهذه الطريقة يكون قد سبقهم المدخل البيئة الذي بدأ في الخمسينيات والذي كان يدرس الأنظمة المعيشية. ومن أجل الإبقاء على هذه الأهداف قام العلماء بالابتعاد عن مداخل التاريخ لمداخل العلوم. كذلك حدثت تطورات مماثلة في بريطانيا والتي بدأها ديفيد كلارك (Clark) 1937-1976 في كتابه علم الآثار التحليلي (Analytical Archaeology) الذي عكس فيه رغبة الآثاريين الجدد في توظيف تقنيات كمية متطورة بمساعدة الحاسوب واستخلاص أفكار من العلوم الأخرى خاصة الجغرافيا. وفي كتابه (Models in Archaeology) أوضح كيف ان الأفكار الجديدة يمكن أن تطبق حتى على الحفريات القديمة. وانتقدتهم النقاد بسبب استخدام بعض المصطلحات الغير متداولة سابقاً مثل مصطلحات نظرية النظم (Cybernetics) والتي اعتبرها النقاد لغة غير مفهومة للجميع.

## الموضوع السادس: التيار الحديث في علم الآثار 1960-1980

### تفصيل

بحلول عام 1960 وضح ضعف استخدام الهجرة والانتشار الثقافي كتفسير للتغير الثقافي. علاوة على ذلك كان لتطور تقنيات توريخ الأدلة والمخلفات الأثرية تأثيراً كبيراً في تعديل كثير من المفاهيم ، مثلاً وضح ان الثقافات التي كان من المفترض أن تكون نتاجاً لنفوذ خارجي تبين أنها أقدم من الثقافة الأم المفترضة. وقد بدأ الآثاريين في فهم ان التغير هو جزء من كل الثقافات الإنسانية ، وان الناس يبتكرون دائماً وقابلون للتكيف الناس الفضوليين، وانه لا حاجة دائماً لمثير خارجي او هجرة للسكان لكي يحدث التغير وبذلك لا يكون بالضرورة ان يكون الانتشار والهجرة هما الاساس لشرح التغير الثقافي.

مع أواخر الخمسينات من القرن العشرين ركز بعض الباحثين الامريكيين على عدم مقدرة علم الآثار على شرح التغير الثقافي واعتقادهم ان هذا العلم بحاجة لمزيد من الدلائل لتوفير اجوبة على الاسئلة المتعلقة بالتغير الثقافي. وبدأ حينذاك بعض الآثاريين في افتراض ان تقدم علم الآثار ينبغي ان يتم من خلال صياغة الفرضيات اولا ومن ثم اختبارها لتأكيداها او رفضها. وفي ذلك الاثناء نشر الأثاري الأمريكي لويس بنفورد مقالا عام 1962 بعنوان (علم الآثار كعلم الأنثروبولوجيا) يعده الكثيرون بداية للتحويل الجذري الذي حدث في علم الآثار وأساسا للاتجاهات الجديدة المقترحة في علم الآثار.

ومثل معظم علماء الآثار الأميركي، جاء بنفورد من خلفية أنثروبولوجية وليس تاريخية أو كلاسيكية. وقد أعرب عن اعتقاده بأن علم الآثار يجب ان يعتبر بمثابة علم من العلوم الاجتماعية، وينبغي عليه أن يسعى لشرح التجربة الإنسانية والقواعد السلوكية التي تحدد سلوك الإنسان، وليس وصفها فحسب.

اهداف مدرسة علم الآثار الجديد:

تبني رواد علم الآثار الجديد ما سمي بنظرية النظم (System Theory) وهي نظرية كانت رائجة في عدة مجالات علمية تدرس العلاقات بين الأنظمة ككل ، وسادت في العلوم الطبيعية والفيزياء وهندسة الاتصال ، وقد استخدمها علماء الآثار في اعادة النظر في التفسيرات التقليدية لمفاصل التغير الثقافي مثل اصل الزراعة أو ظهور المدن. وقد نظرت مدرسة الآثار الجديدة من خلال مفهوم نظرية النظم الى الثقافة باعتبارها جزيئات متصلة مع بعضها البعض وتعمل في نظام واحد مثلها مثل النظم الموجودة في العالم الطبيعي.

من هنا انطلقت مدرسة علم الآثار الجديد والتي يمكن تعريفها بانها مدرسة نقدية علمية في الدراسات الأثرية ازدهرت في فترتي الستينات والسبعينات من القرن العشرين وتطورت فيما

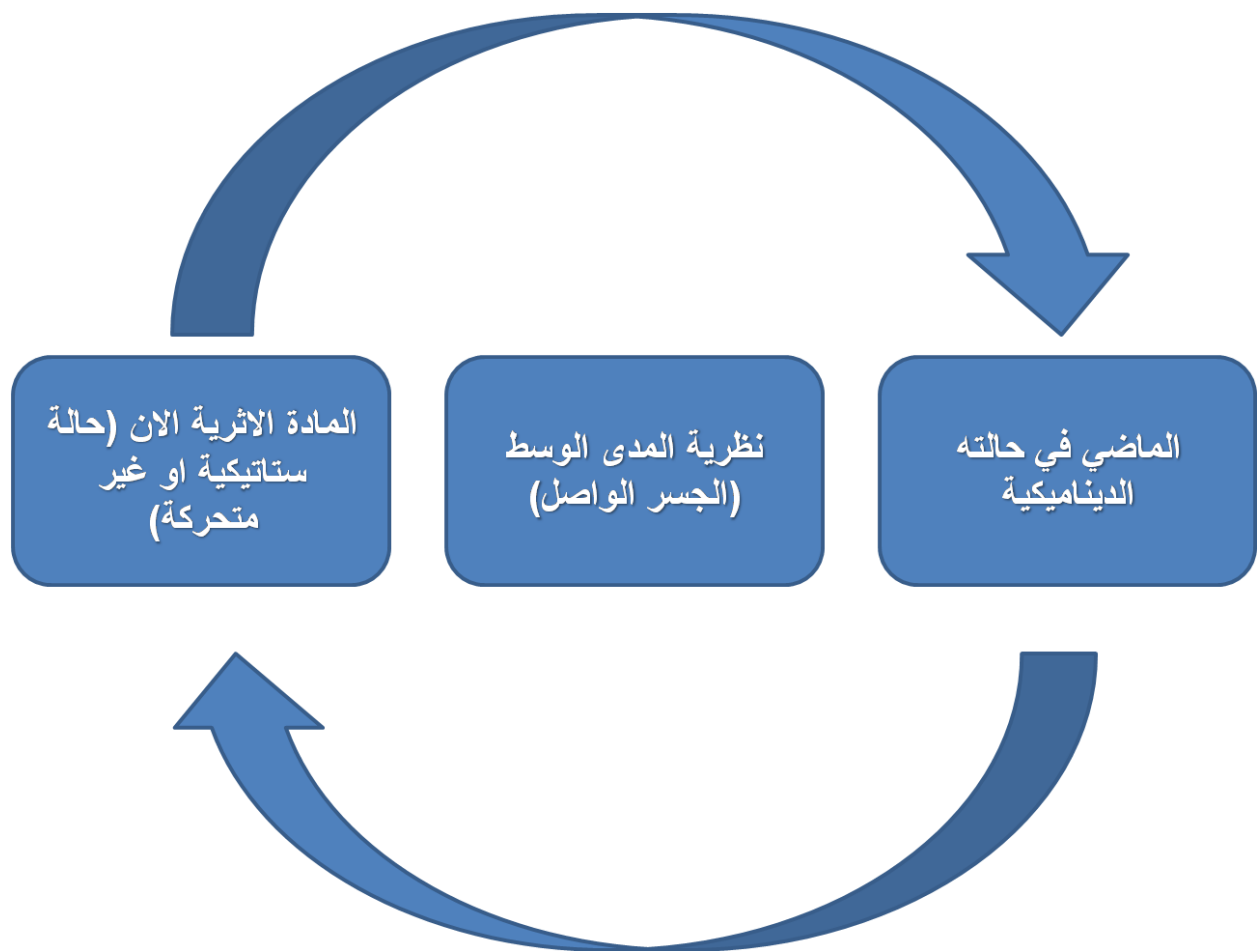
بعد الى مدارس فرعية اخرى وعرفت بأسماء اخرى هي علم الاثار الأنثروبولوجي ، و تيار التجديد في علم الآثار.

في عام 1968 نشر المقالان الأكثر تأثيراً في "علم الآثار الجديد": الاول نشره كل من سالي ولويس بنفورد عن التوجهات الجديدة في علم الآثار والثاني نشره ديفيد كلارك حول علم الآثار التحليلي (Analytical Archaeology). وقد بدا ان "علم الآثار الجديد" يرفض الربط بين التاريخ وعلم الآثار، واكد ديفيد كلارك بقولته الشهيرة بأن "علم الآثار هو علم الآثار هو علم الآثار-archaeology is archaeology is archaeology " بينما جددت ورقة بينفورد المذكورة سابقاً وجهة النظر الأمريكية بأن علم الآثار هو جزء من علم الانسان (الانثروبولوجيا). هذا يوضح الفرق الدقيق بين علم الآثار البريطانيين وعلماء مدرسة "علم الآثار الجديد" في أمريكا الشمالية: ففي حين أن الأمريكيين ينظرون لعلم الآثار كفرع من علم الانسان - يعكس ديفيد كلارك وجهة النظر البريطانية ، بأن "علم الآثار هو منهج خاص في حد ذاته يتعامل مع المعطيات الأثرية ودراساتها."

الفكرة الثانية الهمة في علم الآثار الجديد هو الرضا التام للانتشار كآلية رئيسية للتغير الثقافي. ورغم انها لم تكن فكرة جديدة الا ان علماء الستينات قد ركزوا جهودهم لرفض هذه الفكرة والبحث عن بدائل اخرى للتفسير.

طرح بنفورد مجمل آرائه لمناقشة الاهداف المتداولة لعلم الآثار في الاتي:

1. كتابة تاريخ الثقافة. وهنا دعا الى النظر الى المادة الاثرية باعتبارها ممثلة للمجتمع ويمكن اعتمادها مجالاً لاختبار فرضيات يضعها الباحث سلفاً لاجل تفسير ظاهرة ثقافية قيد الدراسة. ولما كانت المادة الاثرية جامدة او ساكنة فقد قام رواد مدرسة الاثار الجديد من الآثاريين الى التوجه لدراسة الانظمة الثقافية المعاصرة وتطبيق مناهج علم الاثار لجمع معلومات تقيدهم في حل القضايا الاثرية مجال اهتمامهم.
2. التعرف الى اوجه حياة الناس. يؤمن بنفورد بأهمية الدراسة الاثنوغرافية لدراسة المجتمعات المعاصرة باعتباره مصدراً مهماً في الدراسة الاثرية
3. حركة او دينامية الثقافة. تبنى لويس بنفورد ما اسماه بنظرية المدى الوسيط ( Middle Range Theory) والتي عرفت في علم الاجتماع منذ الاربعينات للاختبار العلمي للنظريات وللوصول الى نظرية عامة تسمح بالتعميم حول السلوك الانساني ويمكن التأكد منها في الواقع الفعلي. وقد حاول بنفورد الربط بين الماضي والمادة الأثرية بنظرية المدى الوسيط.



نظرية المدى الوسيط عند بنفورد

اسئلة الموضوعان 5 و 6

لقد كانت الستينات من القرن العشرين لحظة تحول في تطور علم الآثار. ناقش ذلك من خلال دراستك لمدرسة الآثار الجديدة

## الموضوع السابع: التيار ما بعد الحديث في علم الآثار

خلف علم الآثار الجديد مداخل جديدة وتم التخلص منه ومن تفاسيره التي تعتمد وبإفراط علي البيئة والملاحم النفعية للمجتمع وظهرت مناهج أخرى كالمدخل التفسيري أو التأويلي الذي يقدم تأثيرات من الدراسات الأدبية ومجالات التاريخ والفلسفة.

انتقد علماء أمثال ايان هودر (Ian Hodder) علماء مدرسة الآثار الجديدة بتركيزهم الشديد على دراسة العظام وتجاهل المخلفات التقنية للإنسان والسلوك وجنس الإنسان وثقافة الناس. وبطبيعة الحال يعتقد علماء مدرسة الآثار الجديدة قد ذهبوا بعيدا في نقدهم وانهم يبالغون فيه.

استخدم مصطلح التيار ما بعد الحديث لأول مرة من قبل إيان هودر في عام 1985 للإشارة إلى سلسلة من المناهج النظرية المنتشرة في التفكير الأثري التي تشترك في نقد مدرسة الآثار الجديدة وتركز على العوامل الاجتماعية التي تقوم عليها المجتمعات البشرية.

### انتقادات التيار ما بعد الحديث:

- إعتراض المدخل الجديد علي التعميمات التي كانت هدفاً لعلم الآثار الجديد ،وبدلاً من ذلك بدأ التركيز علي التفرد والتنوع في كل مجتمع وثقافته.
- أكد المدخل الجديد علي عدم وجود طريق مفرد لتفسير الماضي أو القيام بالبحث.
- ظهر الإهتمام بالملاحم الرمزية والإدراكية للماضي وأهمية دراسة أفكار ومعتقدات المجتمعات القديمة بمعنى محاولة الدخول في عقولهم وهي مهمة ليست سهلة.

### توجهات التيار ما بعد الحديث:

- يضم التيار ما بعد الحديث العديد من المناهج المختلفة المستمدة من الماركسية ، التأويل ، ما بعد البنوية، و البنائية.
- بذل التيار ما بعد الحديث محاولات لتقديم علم الآثار مع مفاهيم أكثر تطوراً للمجتمع في الماضي والأدوات اللازمة لاستكشاف المجتمعات القديمة من خلال المواد الأثرية. كما ركز ان فهم السلوك البشري يجب النظر اليه في المجتمعات نفسها من اجل تحديد استجابات محددة ، وتشمل ذلك دراسة التغيير الاجتماعي، والنوع وغيره

سؤال:

ناقش باختصار اهم توجهات التيار ما بعد الحديث وانتقاداته للتيار الحديث

## الموضوع الثامن: الاثنواركيولوجي

يقصد بالاثنواركيولوجي (علم الآثار الحية) دراسة المجتمعات الحية لفهم وتفسير السجل الأثاري. ويقصد بالمجتمعات الحية تلك المجتمعات التي تعيش في مستوى اقتصادي واجتماعي وثقافي بسيط ومراقبة معسكراتها وملاحظة نشاط ساكنيها وذلك من اجل تسجيل الأنماط الملاحظة اثارياً ومعرفة النشاطات التي أوجدت تلك الأنماط. وكانت الدراسات الاثنوآثرية الأولى تركز على نشاطات لموجودات معينة ودراسة معسكرات الصيد وجمع الثمار التي قد تقدم وسائل لتفسير المعسكرات الإنسانية المبكرة في اولدفاي وغيرها. ولكن في الأعمال اللاحقة كان التركيز على تطوير وسائل آثرية في الاستدلال يمكن من خلالها وصل الفجوة ما بين الماضي والحاضر.

يرى البعض أن الاثنواركيولوجي شكل من أشكال الاثنوغرافيا يعتمد في الأساس على المادة (Material). كما يعتبره آخرون مجموعة من المعلومات والدلائل الملاحظة على السلوك الإنساني والتي يمكن من خلالها إجراء فرضيات للمقارنة مع الموجودات المستخرجة من الحفريات او المدروسة في المعامل.

وعلى كل فان من أهم أهداف الدراسات الاثنواركيولوجية هي ملاحظة مميزات السلوك الثقافي الاجتماعي المعاصر من خلال منظور آثاري. بمعنى آخر هو الدراسة المنظمة لتعريف العلاقة بين السلوك والثقافة المادية والتحقق من كيفية انعكاس مظاهر محددة من السلوك في المخلفات التي يجدها الاثاريين.

### بدايات الدراسة الاثنواركيولوجية :

كانت العديد من الدراسات الاثنوغرافية ذات الأغراض الاثرية والتي تمت في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين دراسات تفتقد للإطارين المنهجي والنظري. فقد استخدمت المعلومات الاثنوغرافية التي تم جمعها في تفسير المعلومات الاثرية من خلال مناهج أخرى مثل منهج التاريخ المباشر. وكان هناك نقص واضح في الأوصاف الدقيقة للثقافة المادية وهي من الأشياء الهامة للآثاري .

ومع نمو الاتجاهات التفسيرية التي تسعى لتفسير الدلائل الاثرية عم استياء أو عدم رضا عن المعلومات الاثنواركيولوجية المستندة اساساً على ملاحظات اثنوغرافية. ومنذ الخمسينات من القرن العشرين ازدادت اعداد الاثاريين الذين يقومون بدراسات اثنوغرافية. وفي تلك الفترة قدمت دراسات علماء مثل كليندينست (Kleinienst) وواتسون (Watson) وأشير (Ascher) الدافع للتطور الحالي للدراسات الاثنواركيولوجية . ومع ذلك ظلت تلك الدراسات ،

ولا زالت بعضها حتى اليوم ، تحتفظ بأسس المناهج القديمة في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين مثل القياس العام (الانولوجي العام General Analogy في الدراسات الاثنوغرافية هو مقابل اثنوغرافي او اثنوتاريخي يستخدم في استنتاج مميزات مجموعة من الأفراد ذات مميزات ثقافية ولغوية وشكلية واجتماعية شائعة من الدلائل الأثرية. وفي الآثار هو عملية استنتاج تبيح القول انه إذا كان هناك تشارك ثقافي ما في مميزات معينة لكيانين بشريين فانه من الممكن وجود مميزات أخرى متشابهة). كما استخدمت مناهج أخرى مثل مشاكل العلاقة بين أنواع الأدوات والحقائق السلوكية واستخدام منهج التاريخ المباشر في اختيار الموضوع والمنطقة وتطبيق النتائج على المعلومات الثقافية.

وقد تناولت الدراسات الأكثر حداثة (منذ نهاية السبعينات) مجتمعات معاصرة معينة لدراساتها على أساس احتمال امتلاكها لأسس اقتصادية أو بيئية مماثلة للثقافات الاثرية . ومن هذه الدراسات دراسات يلين (Yellen) للبوشمن (1977) ، دراسات بنفورد (Binford) للإسكيمو (1978، 1979). وقد ركزت هذه الدراسات بشكل عام على دراسة الفخار وأنماط الاستيطان والمنازل والمدن والمعسكرات. كما سعت لتقديم اقتراحات عامة تتعلق بالعلاقات بين الثقافة المادية وأنماط السلوك الثقافي-الاجتماعي.



### مجموعات السان في جنوب افريقيا

#### سلبيات:

1. ليس هنالك وصف تفصيلي في الأدب الاثنوآركيولوجي لطرق العمل الميداني، وتقنيات المقابلة، وإشكالات تحديد العينة من السكان الأحياء. ينتج هذا النقص المريع مما أسماه جولد Gould, 1978 بـ "التشديد المادي" للآثنوآركيولوجيا.



2. هناك افتراض بأن الاثنوآركيولوجي يهتم بمنتجات السلوك الفعلية، وبتحديد البقايا المادية، وبالوصف الموضوعي. لكنه بمجرد قبول فكرة كون محتوى النشاطات المادية أمر في غاية الأهمية، فإنه لا مناص عندها من عد مناهج البحث الميداني الأنثروبولوجي أمراً لازماً.

3. يرى البعض انه إذا كان لا بدّ لنا من الكشف عن الإطار الاجتماعي والثقافي الذي يقدم معلومة عن صناعة آنية فخارية أو تشذيب سكين صوانية، فإنه يتوجب علينا فهم محدوديات وصعوبات ومشاكل المقابلات، والملاحظات، وفهم أعضاء مجتمعات أخرى ومنتجاتهم المادية. سنجد أنه ليس فقط الناس هم الذين يكذبون بل حتى الأواني الفخارية يمكنها هي الأخرى أن تكذب.

سؤال:

يقصد بالاثنواركيولوجي (علم الآثار الحية) دراسة المجتمعات الحية لفهم وتفسير السجل الآثاري. ناقش ذلك.